بالفارسية (ونفحات الأنس) بالفارسية أيضاً. وله مصنفات غير ذلك، ونظم بالفارسية يتنافس في حفظه أهل تلك اللسان. (وتوفي) بهراة سنة (٨٩٨) ثمانٍ وتسعين وثمانمائة.

(٢٢٨)

(عبد الرَّحْمن بن أحمد ابن رَجَب البَغْدَادي ثم الدِّمَشْقي الحَنْبَلي الحافظ)[١]

سمع خلقاً منهم القَلانسي، وابن العطار، وغيرهما. وصنف التصانيف المفيدة منها: شرح البخاري، بلغ فيه إلى كتاب الجنائز. وله شرح على التِّرْمِذي، وذيل على كتاب (طبقات الحنابلة) وغير ذلك. ومات في شهر رجب سنة ٧٩٥ خمسٍ وتسعين وسبعمائة[٢].

(٢٢٩)

(عبد الرَّحْمن بن أبي بَكْر بن مُحمَّد بن أبي بَكْر ابن عُمَر بن خَليل بن نَصْر بن الخضر بن الهمام الجلال الأسيوطيّ الأصل الطولويّ الشافعيّ)[٣]

الإمام الكبير صاحب التصانيف. ولد في أول ليلة مستهل رجب سنة ٨٤٩ تسع وأربعين وثمانمائة. ونشأ يتيماً فحفظ القرآن والعمدة والمنهاج الفرعي وبعض الأصليّ وألفية النحو، وأخذ عن الشمس مُحمَّد بن مُوسَى الحنفي في النحو، وعلى العلم البلقيني، والشرف المناوي، والشمني، والكافياجي في فنون عديدة، وجماعة كثيرة كالبقاعي. وسمع الحديث من جماعة، وسافر إلى الفيوم ودمياط والمحلة وغيرها، وأجاز له أكابر علماء عصره من سائر الأمصار، وبرز في جميع الفنون، وفاق الأقران، واشتهر ذكره وبعد صيته وصنّف التصانيف المفيدة كالجامعين في الحديث و(الدرُّ

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ٦/ ٣٣٩؛ الأعلام: ٣/ ٢٩٥؛ معجم المؤلفين: ٥/ ١١٨؛ الدرر الكامنة: ٢/ ٣٢١؛ كشف الظنون: ٥٩، ١٣٥٩، ١٥٥٤، إيضاح المكنون: ١/ ٧٣؛ هدية العارفين: ١/ ٢٧.

(٢) وفي الأعلام، ومعجم المؤلفين: ولد سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م.

(٣) ترجمته في: شذرات الذهب: ٨/ ٥١؛ الكواكب السائرة: ١/ ٢٢٦؛ هدية العارفين: ١/ ٥٣٤؛ كشف الظنون: ٥/ ١٤، ١٦٢، ٢٣٧؛ ٣٦٠، وصفحات كثيرة؛ إيضاح المكنون: ١/ ١٩١، ٤٢١؛ معجم المؤلفين: ٥/ ١٢٩؛ الأعلام: ٣/ ٣٠١؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٣/ ٨٩٨.

المنثور) في التفسير و(الإتقان في علوم القرآن). وتصانيفه في كلّ فنٍّ من الفنون مقبولة قد سارت في الأقطار مسير النهار، ولكنه لم يسلم من حاسدٍ لفضله وجاحد لمناقبه. فإنَّ السَّخاوي في «الضوء اللامع» وهو من أقرانه ترجمه ترجمةً مظلمة غالبها ثَلْبٌ[١] فظيع، وسَبٌّ شنيع[٢]، وانتقاص، وغَمْطٌ[٣] لمناقبه تَصْريحاً وتلويحاً، ولا جرم فذلك دأبه في جميع الفضلاء من أقرانه. وقد تنافس هو وصاحب الترجمة منافسة أوجبت تأليف صاحب الترجمة لرسالة سماها (الكاوي لدماغ السّخاوي) فليعرف المُطَّلِع على ترجمة هذا الفاضل في الضوء اللامع أنها صدرت من خصم له غير مقبول عليه (فمن جملة ما قاله في ترجمته): إنه لم يمعن الطلب في كل الفنون بل قال بعد أن عدّد شيوخه أنه حين كان يتردد عليه كثيراً[٤] من مصنفاته كالخصال الموجبة للضلال، والأسماء النبوية، والصلاة على النبي ﷺ، وموت الأنبياء، وما لا يحصره. قال: بل أخذ من كتب المحمودية وغيرها كثيراً من التصانيف المتقدمة التي لا عهد لكثير من العصريين بها في فنون فغيَّر فيها يسيراً وقدّم وأخّر، ونسبها إلى نفسه. وهوَّل في مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئاً مما لا يوفي ببعضه. وأول ما أبرز جزء له في تحريم المنطق جرّده من مصنف لابن تيمية، واستعان في أكثره فقام عليه الفضلاء قال: كذا درَّس جمعاً من العوام بجامع ابن طولون، بل صار يملي على بعضهم ممن لا يحسن شيئاً ثم قال: كل هذا مع أنه لم يصل ولا كاد. ولهذا قيل إنه تَزبَّبَ قبل أن يكون حصرماً. وأطلق لسانه وقلمه في شيوخه فَمَنْ فوقهم، بحيث قال عن القاضي العَضُد أنه لا يكون طعنه في نعل ابن الصّلاح. وعُزّر على ذلك من بعض نواب الحنابلة بحضرة قاضيهم ونقص السيد والرضي في النحو بما لم يبد فيه مستنداً مقبولاً بحيث أنه أظهر لبعض الغرباء الرجوع عن ذلك، فإنه لما اجتمعا قال له: قلت السيد الجرجاني، قال: إنّ الحرف لا معنى له في نفسه ولا في غيره. وهذا كلام السيد ناطق بتكذيبك فيما نسبته إليه فأوجدنا مستنداً فيما تزعمته، فقال: إني لم أر له كلاماً ولكني لما كنتُ بمكّة تجاذبت مع بعض الفضلاء الكلام في المسألة فنقل لي ما حكيته وقلدته فيه فقال: هذا عجيب مِمَّن يتصدى للتصنيف يقلد في مثل هذا مع هذا الأستاذ. انتهى. وقال: من قرأ الرضي ونحوه لم يترقَّ إلى درجة أن يُسمَّى مشاركاً في النحو، ولا زال يسترسل حتى قال: إنه رزق التبحر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع. قال: والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من

(١) ثَلَبَ فلاناً ثَلْباً: عابَهُ وتَنقَّصهُ. الفظيع: الشّديد الشَّناعة.
(٢) السَّبُّ: الشَّتْمُ: الشَّنيع: الشّديد القُبْح.
(٣) الغَمْطُ: الاستصغار والاحتقار والإنكار.
(٤) كذا في الأصل، وفي الكلام نقصٌ أخلّ بمعناه.

الفقه والنقول التي اطلعت عليها مما لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلاً عمن دونهم. قال: ودون هذه السبعة أصول الفقه والجدل والصرف ودونهما الإنشاء والترسل والفرائض، ودونها القراءات ولم آخذها عن شيخ، ودونها الطب. وأما الحساب فأعسر شيء عليَّ وأبعده عن ذهني. وإذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلاً أحمله قال: وقد كملت عندي آلات الاجتهاد بحمد اللَّه إلى أن قال: ولو شئت أن أكتب في كلّ مسألة تصنيفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والمقارنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك. وقال: إن العلماء الموجودين يرتبون له من الأسئلة ألوفاً فيكتب عليها أجوبة على طريقة الاجتهاد. قال السخاوي بعد أن نقل هذا الكلام عن صاحب الترجمة في وصف نفسه: ما أحسن قول بعض الأستاذين في الحساب ما اعترف به عن نفسه مما يُوهم به أنه منصف. أول دليل على بلادته وبعد فهمه لتصريح أَئمة الفن بأنه فن ذكاء ونحو ذلك، وكذا قول بعضهم دعواه الاجتهاد ليستر خطأه ونحو هذا. وقد اجتمع به بعض الفضلاء ورام التكلم معه في مسألة فقال: إن بضاعتي في علم النحو مزجاة. وقول آخر له: أعلمني عن آلات الاجتهاد ما بقي أحد يعرفها، فقال له: نعم ما بقي مَنْ له مشاركة فيها على وجه الاجتماع في واحدٍ بل مفرقاً، فقال له: فاذكرهم لي ونحن نجمعهم لك ونتكلم معهم، فإن اعترف كل واحد لك بعلمه وتميزك فيه أمكن أن نوافقك في دعواك. فسكت ولم يبدِ شيئاً. وذكر أن تصانيفه زادت على ثلاثمائة كتاب، رأيت منها ما هو في ورقة. وأما ما هو دون كرَّاسة فكثير. وسمي منها شرح الشاطبية. وألفية في القراءات. مع اعترافه بأنه لا شيخ له فيها. ومنها ما اختلسه من تصانيف شيخنا يعني ابن حَجَر، منها (كتاب النقول في أسباب النزول)، و(عين الإصابة في معرفة الصحابة)، و(النكت البديعات على الموضوعات)، و(المدرج إلى المدرج)، و(تذكرة المؤتسي بمن حدَّث ونسي)، و(تحفة النابه بتلخيص المتشابه)، و(ما رواه الواعون في أخبار الطاعون)، و(الأساس في مناقب بني العباس)، و(جزء في أسماء المدلسين)، و(كشف النقاب عن الألقاب)، و(نشر العبير في تخريج أحاديث الشرح الكبير)، قال: فكل هذه مصنفات شيخنا، وليته إذ اختلسها لم يمسخها، ولو نَسَخها على وجهها لكان أنفع. ومنها ما هو لغيره، وهو الكثير، هذا إن كانت المسخيات موجودة كلّها، وإلّا فهو كثير المجازفة. جاءني مرة فزعم أنه قرأ مسند الشافعي على القميصي في يوم، فلم يلبث أن جاء القميصي وأخبرني متبرعاً بما تضمن كذبه حيث أخبر أنه بقي منه جانب. قال السَّخاوي، وقال: إنه عمل (النفحة المكية والتحفة المكية) في كراسة وهو بمكة على نمط (عنوان الشرف) لابن المقري في يوم واحد، وأنه عمل ألفية في الحديث فائقة على (ألفية العراقي) إلى غير ذلك

مما يطول شرحه، ثم قال: كل ذلك مع كثرة ما يقع له من التحريف والتصحيف، وما ينشأ عن عدم فهم المراد لكونه لم يزاحم الفضلاء في دروسهم، ولا جلس معهم في شأنهم وتعريسهم، بل استند بأخذه من بطون الدفاتر والكتب، واعتمد ما لا يرتضيه مَنْ لِلإتقان صحب. وقد قام الناس عليه كافة لما ادعى الاجتهاد، ثم قال: وبالجملة فهو سريع الكتابة لم أزل أعرفه بالهوس ومزيد الترفع حتى على أمه بحيث كانت تزيد في التشكي منه. ولا يزال أمره في تزايد من ذلك فاللَّه يلهمه رشده. ونقل عنه أنه قال: تركت الإفتاء والإقراء، وأقبلت على اللَّه. وزعم أنه رأى مناماً يقتضي ذم النبي ﷺ له، وأمر خليفته الصديق بحبسه سنة ليراجع الإقراء والإفتاء، وأنه استغفر اللَّه بعد ذلك، وأقبل على الإفتاء بحيث لو جيء إليه بفتيا وهو مشرف على الغرق لأخذها ليكتب عليها. قال: ومن ذلك أنه توسّل عند الإمام البُرهان الكركي في تعيينه لحجة كانت تحت نظره فأجابه وزاد من عنده ضعف الأصل فما قال له: جُزيت خيراً، ولا أبدى كلمة تُؤذن بشكره. قال: ومن هوسه أنه قال لبعض تلامذته: إذا صار إلينا القضاء قررنا لك كذا وكذا بل تصير أنت الكلّ. هذا حاصل ما ذكره السخاوي في كتابه «الضوء اللامع» في ترجمة الجلال السيوطي، وختمها بقوله: إنه ألّف مؤلفاً سمَّاه «الكاوي في الردّ على السخاوي».

(وأقول): لا يخفى على المنصف ما في هذا المنقول من التحامل على هذا الإمام فإنه ما اعترف به من صعوبة علم الحساب عليه لا يدل على ما ذكره من عدم الذكاء فإن هذا الفن لا يفتح فيه على ذكي إلَّا نادراً، كما نشاهده الآن في أهل عصرنا. وكذلك سكوته عند قول القائل له نجمع لك أهل كلّ فن من فنون الاجتهاد فإن هذا كلام خارج عن الإنصاف لأن ربّ الفنون الكثيرة لا يبلغ تحقيق كل واحد منها ما يبلغه من هو مشتغل به على انفراده، وهذا معلوم لكل أحد. وكذا قوله: إنه مسخ كذا وأخذ كذا ليس بعيب، فإن هذا ما زال دأب المصنفين يأتي الآخر فيأخذ من كتب من قبله فيختصر أو يوضح أو يعترض أو نحو ذلك من الأغراض التي هي الباعثة على التصنيف. ومن ذاك الذي يعمد إلى فن قد صنف فيه من قبله فلا يأخذ من كلامه. وقوله: إنه رأى بعضها في ورقة لا يخالف ما حكاه صاحب الترجمة من ذكر عدد مصنفاته فإنه لم يقل إنها زادت على ثلاثمائة مجلد بل قال إنها زادت على ثلاثمائة كتاب، وهذا الاسم يصدق على الورقة وما فوقها. وقوله: إنه كذبه القميصي بتصريحه أنه بقي من المسند بقية ليس بتكذيب، فربما كانت تلك البقية يسيرة، والحكم للأغلب، لا سيّما والسهو والنسيان من العوارض البشرية. فيمكن أنه حصل أحدهما للشيخ أو تلميذه. وقوله: إنه كثير التصحيف والتحريف مجرد دعوى عاطلة عن البرهان، فهذه مؤلفاته على ظهر البسيطة محرّرة أحسن تحرير، ومتقنة أبلغ إتقان.

وعلى كل حال فهو غير مقبول عليه لما عرفت من قول أئمة الجرح والتعديل بعدم قبول الأقران في بعضهم بعضاً مع ظهور أدنى منافسة، فكيف بمثل المنافسة بين هذين الرجلين التي أفضت إلى تأليف بعضهم في بعض. فإن أقلّ من هذا يوجب عدم القبول. والسخاوي رحمه اللَّه وإن كان إماماً غير مدفوع، لكنه كثير التحامل على أكابر أقرانه كما يعرف ذلك من طالع كتابه (الضوء اللامع) فإنه لا يقيم لهم وزناً، بل لا يسلم غالبهم من الحطِّ منه عليه. وإنما يعظم شيوخه وتلامذته ومن لم يعرفه ممن مات في أول القرن التاسع قبل موته، أو مَنْ كان من غير مصره أو يرجو خيره أو يخاف شرّه. وما أحسن ما ذكره في كتابه «الضوء اللامع» في ترجمة (عبد البَاسِط بن يَحْيَى شَرَف الدين) فإنه قال: وربما صرح بالإنكار على الفقهاء فيما يسلكونه من تنقيص بعضهم لبعض. وقد حكى أنه بينما هو عند الدوادار وبين يديه فقيه، وإذا بآخر ظهر من الدوار فاستقبله ذلك الجالس بالتنقيص عند صاحب المجلس، واستمر كذلك حتى وصل إليهم، فقام إليه ثم انصرف فاستدبره القادم حتى اكتفى، ثم توجَّه، قال: فسألني الدوادار: من الصادق منهما؟ فقلت: أنتم أخبر، فقال: إنهما كاذبان فاسقان ونحو ذلك. انتهى. وأما ما نقله من أقوال مَنْ ذكره من العلماء مما يؤذن بالحطّ على صاحب الترجمة فسبب ذلك دعواه الاجتهاد كما صرح به. وما زال هذا دأب الناس مع من بلغ إلى تلك الرتبة، ولكن قد عرفناك في ترجمة ابن تيمية أَنها جرت عادة اللَّه سبحانه كما يدل عليه الاستقراء برفع شأن من عُودي لسبب علمه وتصريحه بالحق وانتشار محاسنه بعد موته، وارتفاع ذكره، وانتفاع الناس بعلمه. وهكذا كان أمر صاحب الترجمة فإن مؤلفاته انتشرت في الأقطار وسارت بها الركبان إلى الأنجاد والأغوار، ورفع اللَّه له من الذكر الحسن والثناء الجميل ما لم يكن لأحد من معاصريه والعاقبة للمتقين. ولم يذكر السّخاوي تاريخ وفاة المترجم له لأنه عاش بعد موته، فإن السّخاوي (مات) في سنة (٩٠٢) كما سيأتي في ترجمته إن شاء اللَّه تعالى تجاوز اللَّه عنهما جميعاً وعنَّا بفضله وكرمه. وكان (موت) صاحب الترجمة بعد أذان الفجر المسفر صباحه عن يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة.

(٢٣٠)

(عبد الرَّحْمن بن الحَسَن الأكوع)

شيخ الفروع ومحققها، قرأها بمدينة ذمار على أكابر شيوخها، كالعلَّامة الحَسَن بن أحمد الشبيبي وأقرانه، ثم ارتحل إلى صنعاء، ودرس في شرح الأزهار، وبيان ابن مظفر في جامعها. ورغب إليه الطلبة، واجتمعوا إليه، فكان يحضر درسه جماعة نحو الثلاثين والأربعين. ثم ما زال الناس يأخذون عنه أياماً طويلةً. وكان أخوه (عليّ بن حَسَن الأكوع)